كتاب الرجاء والخوف

وفيه ثلاثة أبواب :

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

في الرجاء

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾. أي: لمن تاب ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [1].

قال ثوبان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية**» [2].

قيل: هي أرجى آية في القرآن. وقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [3]. وقيل ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [4]. وقيل ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [5]. وقال زين العابدين: أرجى آية ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [6].

وفي **الصحيحين** عن عبادة بن الصامت ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده**

---

(1) سورة الزمر، الآية: 53.

(2) أخرجه أحمد (5/ 275، رقم 22416)، والطبراني في الأوسط (2/ 250، رقم 1890) قال الهيثمي (100/7): فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن.

(3) سورة النساء، الآية: 48، والآية: 116.

(4) سورة النساء، الآية: 110.

(5) سورة طه، الآية: 48.

(6) سورة الضحى، الآية: 5.

ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[1].

وعن أبي ذر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل**: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة ﴿فجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ أو أغفر ، فمن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة»[2] رواه مسلم .

قال النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ : معنى الحديث من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي وإن زاد زدت فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ، وقُراب الأرض بضم القاف ، ويقال: بكسرها والضم أصح وأشهر ومعناه ما يقارب ملئها والله أعلم .

وعن جابر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، ما الموجبتان؟ قال: «**من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، ومن مات يشرك به دخل النار**»[3] رواه مسلم .

وفي **الصحيحين** عن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: قدم على رسول الله ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألزقته ببطنها

(1) أخرجه أحمد (5/ 313، رقم 22727) ، والبخارى (3/ 1267، رقم 3252) ، ومسلم (1/ 57، رقم 28) ، وابن حبان (1/ 431، رقم 202) . وأخرجه أيضًا: النسائى (6/ 331، رقم 11132) .

(2) أخرجه البخارى (6/ 2741، رقم 7099) . وأخرجه أيضا: أحمد (2/ 509، رقم 10627) ، مسلم (4/ 2067، رقم 2675) ، وأبو يعلى (11/ 479، رقم 6601) ، وابن حبان (2/ 100، رقم 376) .

(3) أخرجه أحمد (1/ 382، رقم 3625) ، والبخارى (1/ 417، رقم 1181) ، ومسلم (1/ 94، رقم 92) .

فأرضعته ، فقال رسول الله ﷺ : «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا : لا والله . قال : «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[1].

وقال ﷺ : «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم**»[2] رواه مسلم

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﷺ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾[3] الآية ، قال عيسى صلوات الله عليه : ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[4] فرفع يديه وقال : «**اللهم أمتي**» وبكى فقال الله ـ عز وجل ـ : يا جبريل ، اذهب إلى محمد وربك أعلم فاسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم ، فقال الله تعالى : يا جبريل ، اذهب إلى محمد ، فقال : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك. رواه مسلم .

وعن معاذ بن جبل ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال : كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال : «**يا معاذ ، هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟**» قلت : الله ورسوله أعلم . قال : «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن يغفر لمن لا يشرك به شيئا**» . فقلت : يا رسول الله ،

(1) أخرجه البخارى (5/ 2235، رقم 5653) ، ومسلم (4/ 2109، رقم 2754) . وأخرجه أيضًا : البزار (1/ 411، رقم 287) ، والطبرانى فى الأوسط (3/ 232، رقم 3011) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (5/ 422، رقم 7132) .

(2) أخرجه أحمد (2/ 309، رقم 8068) ، ومسلم (4/ 2106، رقم 2749) . وأخرجه أيضًا : عبد الرزاق عن معمر فى الجامع (11/ 181، رقم 20271) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (5/ 410، رقم 7102) .

(3) سورة إبراهيم ، الآية : 36.

(4) سورة المائدة ، الآية : 118.

أفلا أبشر به الناس؟ قال : «**لا تبشرهم فيتكلوا**» .رواه البخاري ومسلم [1].

وقال ﷺ : «**يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء**» [2].

وقال ﷺ : «**الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار**»[3].

وروي في تفسير قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[4] أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أني أجعل حساب أمتك إليك ، فقال : يا رب ، أنت خير لهم مني . فقال : إذن لا نخزيك فيهم .

---

(1) أخرجه أحمد (5/ 242، رقم 22149) ، والبخارى (5/ 2224، رقم 5622) ، ومسلم (1/ 58، رقم 30) ، والترمذى (5/ 26، رقم 2643) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (2/ 1435، رقم 4296) ، وابن حبان (2/ 82، رقم 362) . وأخرجه أيضًا : النسائى فى الكبرى (6/ 55، رقم 10014) .

(2) أخرجه ابن أبى الدنيا فى حسن الظن بالله (ص 15، رقم 2) ، والحكيم (3/99) ، وابن حبان (2/ 401، رقم 633) ، وابن عدى (6/ 326، ترجمة 1807 معروف بن عبد الله الخياط) ، والطبرانى (22/ 87، رقم 210) ، والحاكم (4/ 268، رقم 7603) ، وقال : صحيح الإسناد . وأخرجه أيضا : أحمد (3/ 491، رقم 16059) ، والدارمى (2/ 395، رقم 2731) .

(3) من حديث ابن عباس : أخرجه أحمد (1/ 291، رقم 2649) ، والبخارى (3/ 1190، رقم 3088) ، وابن حبان (13/ 431، رقم 6068) . وأخرجه أيضًا : الطبرانى (12/ 229، رقم 12967) .

من حديث ابن عمر : أخرجه مالك (2/ 945، بعد رقم 1693) ، وأحمد (2/ 21، رقم 4719) ، والبخارى (3/ 1191، رقم 3091) ، ومسلم (4/ 1731، رقم 2209) ، وابن ماجه (2/ 1149، رقم 3472) ، والنسائى فى الكبرى (4/ 379، رقم 7609) ، وابن حبان (13/ 430، رقم 6066) . وأخرجه أيضًا : الطبرانى (12/ 360، رقم 13342) ، والبيهقى (1/ 225، رقم 1009) .

ومن حديث عائشة : أخرجه أحمد (6/ 50، رقم 24275) ، وعبد بن حميد (ص 434، رقم 1498) ، والبخارى (3/ 1190، رقم 3090) ، ومسلم (4/ 1732، رقم 2210) ، والترمذى (4/ 404، رقم 2074) ، وابن ماجه (2/ 1149، رقم 3471) ، وأخرجه أيضًا : إسحاق بن راهويه (2/ 592، رقم 1167) ، وأبو يعلى (8/ 97، رقم 4635) ، والقضاعى (1/ 70، رقم 60) .

(4) سورة التحريم ، الآية : 8.

وقال إبراهيم بن أدهم ـ رَحِمَهُ الله ـ : خلا لي الطواف وكانت ليلة مطيرة مظلمة ، فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت : يا رب ، اعصمني حتى لا أعصيك أبدا . فهتف بي هاتف من البيت : يا إبراهيم ، أنت تسألني العصمة ، وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك ، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل؟ ولمن أغفر؟!

وقيل : إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ فقال : إن أسلمت أضفتك ، فمضى المجوسي فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم : لم تطعمه إلا بتغيير دينه ، ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره ، فلو أضفته ليلة واحدة ما كان عليك إثم ، فهم إبراهيم يسعى خلف المجوسي فرده وأضافه فقال المجوسي : ما السبب فيما بدا لك؟ فذكر له فقال المجوسي : هكذا يعاملني ، اعرض الإسلام فأسلم .

وحكي أن أبا العباس بن شريح ـ رَحِمَهُ الله ـ رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه وتعالى يقول : أين العلماء؟ قال : فجاءوا ، ثم قال : ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال : قلنا : يا رب ، قصرنا وأسأنا . قال : فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب ، وأراد جوابا غيره ، فقلت : أما أنا فليس في صحيفتي الشرك ، ولقد وعدتَ أن تغفر ما دونه . فقال : اذهبوا فقد غفرت لكم ، ومات بعد ذلك بثلاث ليال .

وكان أبان بن عثمان يتكلم في الرجاء كثيرا ، فرؤي بعد موته في المنام ، فقيل له : كيف كان قدومك على الله؟ قال : أوقفني بين يديه فقال : ما الذي حملك على ما فعلت؟ قلت : أردت أن أحببك إلى خلقك . فقال : قد غفرت لك .

ورؤي يحيى بن أكثم[1] في النوم بعد موته فقيل : ما فعل الله بك؟ فقال :

(1) هو : يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي ، أبو محمد : قاضي ، رفيع القدر ، عالي الشهرة ، من نبلاء الفقهاء ، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب . ولد بمرو ، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها ، فولاه قضاء البصرة (سنة 202) ثم قضاء القضاة ببغداد . وأضاف إليه =

أوقفني بين يديه ، وقال : يا شيخ ، فعلت وفعلت . قال : فأخذني من الرعب ما لا يعلم به إلا الله ، قلت : يا رب ، ما هكذا حدثت عنك . قال : وما حدثت عني؟ فقلت : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل عنك أنك قلت : «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**» [1]. وكنت أظن بك ألا تعذبني . فقال الله عز وجل : صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت . قال : فألبست ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة يا لها فرحة .

قال ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ الله تعالى ـ في كتاب **روضة المشتاق إلى الملك الخلاق** : ورد في الخبر أن الخليل عليه السلام نزل به رجل من عباد النار فأضافه وأكرمه فضجت الملائكة في السماوات وقالوا : يا ربنا ، خليلك يكرم عدوك! فقال لهم ـ جلت قدرته ـ : يا ملائكتي ، أنا أعلم بخليلي منكم ، ثم أمر جبريل ـ عليه السلام ـ وقال : يا جبريل ، انزل إليه واعرض قول الملائكة عليه ، ففعل جبريل فبكى إبراهيم عليه السلام وقال : يا جبريل ، قل لمولاي : منك تعلمت ،

= تدبير مملكته ، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شئ إلا بعد عرضه عليه . وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد . وكان مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء ، حسن العشرة ، حلو الحديث ، استولى على قلب المأمون حتى أمر بألا يحجب عنه ليلا ولا نهارا . وله غزوات وغارات ، منها أن المأمون وجهه (سنة 216هـ) إلى بعض جهات الروم ، فعاد ظافرا . ولما مات المأمون وولي المعتصم ، عزله عن القضاء ، فلزم بيته . وآل الامر إلى المتوكل فرده إلى عمله . ثم عزله سنة 240 هـ ، وأخذ أمواله ، فأقام قليلا ، وعزم على المجاورة بمكة ، فرحل إليها ، فبلغه أن المتوكل صفا عليه ، فانقلب راجعا ، فلما كان بالربذة (من قرى المدينة) مرض وتوفي فيها .

ترجمته في أخبار القضاة لوكيع 2/ 161، الجرح والتعديل 9/ 129، مروج الذهب للمسعودي 4/21 وما بعدها ، الأغاني 20/ 255، تاريخ بغداد 14/ 191، 204، طبقات الحنابلة 1/ 410، 413، وفيات الأعيان 6/ 147، 165، ميزان الاعتدال 4/ 361، 362، طبقات المفسرين 2/ 362، الجواهر المضية 2/ 210.

(1) تقدم تخريجه .

رأيتك تحسن لمن أساء إليك فتعلمت منك .

ونقل في **روضة المشتاق** عن بعض السادة أنه قال : ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه فيقول الله تعالى للأرض والسماء : كفا عن عبدي وأمهلاه ، فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ، لعله يتوب إلي فأغفر له ، ولعله يستبدل صالحا فأبدل له سيئاته حسنات ، فذلك معنى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ (1).

وقال فيها أيضا : قيل : إن رجلا من بني إسرائيل أتى موسى ـ عليه السلام ـ فقال له : يا موسى ، قل لربك يقطع رزقه عني ، فقال موسى : يا رب ، قد سمعت ما قال هذا العبد وأنت العالم به قبل خلقه ، فأوحى الله إليه : يا موسى ، قل له : إن أحببت ألا يصل إليك شيء من فضلي ونعمائي فاترك أرضي وسمائي ، واطلب ربا سواي ، يا موسى قل لعبدي : كيف أقطع رزقي عنك وأنت أنت وأنا أنا ، فأعلمه موسى بذلك فسقط على وجهه على الأرض مغشيا عليه ، ثم أفاق وقال : يا موسى ، قل لمولاي : صدقت أنا العبد الضعيف ، وأنت المولى الكريم .

وحكى فيها أيضا عن بعض السلف أنه كان يقول : الطمع قبيح إلا في رحمة الله تعالى وعفوه ، والأمل غرور إلا في فضله ونعمته ، وامتهان النفس ذل إلا في طاعته وخدمته .

وقال في **روضة المشتاق** أيضا : ورد في الخبر أن الله تعالى أوحى إلى موسى ـ عليه السلام ـ يا ابن عمران ، حببني إلى عبادي وذكرهم نعمتي عليهم وإحساني إليهم . فقال موسى ـ عليه السلام ـ : إلهي هذه رحمتك للأحياء ، فما الذي أعددت للأموات . فأوحى الله إليه : يا ابن عمران ، لو سألت أهل القبور

(1) سورة فاطر ، الآية : 41.

وأذنت لهم في جوابك لأخبروك أن لطفي بهم بعد وفاتهم أعظم من لطفي بهم في حياتهم، يا ابن عمران لم أقطع رحمتي عنهم وهم أحياء يرزقون، فكيف أقطعها عنهم وهم تحت الثرى مقبورون؟ يا ابن عمران، كم عبد عصاني طول عمره، فلما كان عند موته لم أنظر إلى تمرده وجهله، ونظرت إلى ضعفه وذله فألهمته توحيدي وأوقفته على بابي لينجو من سطوتي وعذابي.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

فصل

قال العلماء ـ رَحِمَهُم الله ـ : الرجاء حسن الظن بالله تعالى في قبول طاعة وفقت لها أو مغفرة سيئة تبت عنها ، فأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاستمرار على المخالفات ، فأمن وغرور ، وقد نهى الله تعالى عنه بقوله : ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [1]. يعني : الشيطان فإنه يحسن لك المعاصي ، وربما يجرك إلى ذلك رجاء عفو الله وكرمه ، وقد وصف الله تعالى الراجين فقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [2]. وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [3]. هؤلاء خيار هذه الأمة ثم جعلهم الله أهل الرجاء كما تسمعون وإنه من رجا طلب ومن خاف هرب .

❊ ❊ ❊

(1) سورة لقمان ، الآية : 33.

(2) سورة فاطر ، الآية : 29.

(3) سورة البقرة ، الآية : 218.

الباب الثاني

في الخوف

قال الله تعالى: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [1]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [2]. وقال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [4]. أي: مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة، وقيل: قيام ربه عليه بيانه قوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [5].

وقال إبراهيم ومجاهد: هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافة الله تعالى.

قال محمد بن على الترمذي: جنة بخوفه ربه سبحانه وجنة بتركه شهوته.

وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**»[6] حسنه الترمذي. ومعنى أدلج: سار من الليل

(1) سورة النحل، الآية: 51.

(2) سورة البروج، الآية: 12.

(3) سورة آل عمران، الآية: 28.

(4) سورة الرحمن، الآية: 46.

(5) سورة الرعد، الآية: 33.

(6) من حديث أبى هريرة: أخرجه الترمذى (633/4 رقم 2450) وقال: حسن غريب. والرامهرمزى (1/ 120 رقم 83)، والحاكم (4/ 343، رقم 7851) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى فى شعب الإيمان (1/ 512، رقم 881). وأخرجه أيضًا: عبد بن حميد (ص 425، رقم 1460).
ومن حديث أبى بن كعب: أخرجه أبو نعيم فى الحلية (377/8) وهو غريب. والحاكم (4/ 343، رقم 7852).

والمراد السير في طاعة الله، والله أعلم.

وفي **الصحيحين** عن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**». فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين[1].

قال النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ الخنين ـ بالخاء المعجمة ـ: هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف.

وقال ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى**»[2]. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

قال النووي ـ رَحِمَهُ الله ـ: «**أطت**» بفتح الهمزة وتشديد الطاء، وتئط بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة، والأطيط صوت الرحل والقتب وشبههما، ومعناه: أن كثرة مَن في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت، و«**الصعدات**»

---

(1) من حديث أنس: أخرجه أحمد (3/ 154، رقم 12591)، والدارمى (2/ 396، رقم 2735)، والبخارى (4/ 1689، رقم 4345)، ومسلم (1/ 320، رقم 426)، والترمذى (4/ 556، رقم 2312)، وقال حسن غريب. والنسائى (3/ 83، رقم 1363)، وابن ماجه (2/ 1402، رقم 4191)، وابن حبان (13/ 109، رقم 5792).

ومن حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (2/ 312، رقم 8109)، والبخارى (5/ 2379، رقم 6120)، والترمذى (4/ 556، رقم 2313)، وقال: صحيح.

ومن حديث سمرة: أخرجه الطبرانى (7/ 247، رقم 7005). قال الهيثمى (230/10): رواه الطبرانى، والبزار وفى إسناد الطبرانى من لم أعرفهم، وإسناد البزار ضعيف.

(2) من حديث أنس: أخرجه أيضًا: أبو نعيم فى الحلية (269/6). وأورده السيوطى فى الدر المنثور (4/ 183) وعزاه لابن مردويه.

ومن حديث العلاء بن سعد: أخرجه ابن عساكر (381/52).

بضم الصاد والعين: الطرقات ومعنى: «**تجأرون**» تستغيثون.

وقال ﷺ: «**لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم**».

وقال ﷺ: «**ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها**»[1].

وقال ﷺ: «**قال الله ـ عز وجل ـ: وعزتي وجلالي، لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة**»[2].

وقال ﷺ: «**من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء**»[3].

وقال ﷺ: «**أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمركم الله تعالى به ونهى عنه نظرا**»[4].

وقالت عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ: قلت: يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[5] هو الرجل يسرق ويزني؟ قال: «**لا، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه**»[6].

---

(1) أخرجه ابن المبارك (1/ 9، رقم 27)، والترمذى (4/ 715، رقم 2601)، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله، ويحيى بن عبيد الله ضعيف عند أكثر أهل الحديث تكلم فيه شعبة. وأبو نعيم فى الحلية (178/8)، والبيهقى فى شعب الإيمان (1/ 350، رقم 388).

(2) أخرجه ابن المبارك فى الزهد (1/ 50، رقم 157)، والحكيم (242/3) عن الحسن مرسلًا.
حديث أبى هريرة: أخرجه ابن المبارك فى الزهد (1/ 50، رقم 158) والبيهقى فى شعب الإيمان (1/ 482، رقم 777) وابن حبان (2/ 406، رقم 640).

(3) ذكره الرافعى (187/2).

(4) قال العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء كتاب العلم: أخرجه ابن المجبر من حديث أبى قتادة.

(5) سورة المؤمنون، الآية: 60.

(6) الدر المنثور.

وقالوا: يا رسول الله، قد شبت! فقال: «**شيبتني هود وأخواتها**».[1] وفي رواية: «**شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت**»[2].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه أبو يعلى (2/ 184، رقم 880)، والطبرانى (123/22 رقم 318).

(2) أخرجه الترمذى (5/ 402، رقم 3297) وقال: حسن غريب، والحاكم (2/ 374، رقم 3314) وقال: صحيح على شرط البخارى. وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة (6/ 152، رقم 30268).

obeikandl.com

فصل في خوف الملائكة والأنبياء والعلماء

خوف الملائكة :

قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [1].

وقال ﷺ : «**ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد خوفا من الجبار**» .

وقيل : لما ظهر طفق جبريل وميكائيل ـ عليهما السلام ـ يبكيان ، فأوحى الله إليهما : ما لكما تبكيان كل هذا البكاء؟ فقالا : يا رب ، ما نأمن مكرك . فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكري .

وعن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أنه عليه الصلاة والسلام : سأل جبريل : «**ما لي أرى ميكائيل لا يضحك؟**» فقال : جبريل : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار [2].

قال الغزالي ـ رَحِمَهُ الله ـ : ويقال : إن لله ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله تعالى عليهم فيعذبهم .

خوف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

روي أن ابن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال لعائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ : يا أم المؤمنين أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟ قال : فبكت وقالت : كل أمره كان عجبا ؛ إنه أتاني في ليلة فدخل معي في الفراش حتى مس جلده

(1) سورة النحل ، الآيتان : 49، 50.

(2) أخرجه أحمد (3/ 224، رقم 13367) قال الهيثمى (385/10) : رواه أحمد من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين ، وهى ضعيفة ، وبقية رجاله ثقات .

جلدي ثم قال: «**ذريني يا عائشة أتعبد لربي**». قالت: فقلت له: والله إني لأحب قربك وإني لأحب أن تتعبد لربك تعالى، قالت: فقام وأتى إلى قربة فتوضأ منها، ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته وبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتاه بلال فناداه لصلاة الصبح وهو يبكي فقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**ويحك يا بلال، وما يمنعني ألا أبكي وقد أنزل الله جلت قدرته في هذه الليلة هذه الآية**» وتلا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ﴾. ثم قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتذكر ما فيها**».

وروي أنه ﷺ كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدعه أزيز كأزيز المرجل.

وقال أبو الدرداء: كان يسمع أزيز قلب إبراهيم عليه السلام إذا قام إلى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه.

وقال يزيد الرقاشي: خرج داود ذات يوم بالناس يعظمهم ويخوفهم في أربعين ألفا، فمات منهم ثلاثون ألفا وما رجع إلا بعشرة آلاف. قال: وكان له جاريتان اتخذهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط واضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت.

وكان يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ إذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا ـ عليه السلام ـ لبكائه حتى يغمى عليه، فلم يزل يبكي حتى أخرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين، فقال له أبوه: يا بني، إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيناي، فقال يحيى: يا أبتِ إن جبريل أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكَّاء قال زكريا فابك يا بني.

وقال عيسى عليه السلام: معاشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا، وبحق أقول لكم: إن أكل الشعير والنوم

على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل.

وقيل كان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل عليه السلام فيقول له: الجبار يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلا يخاف خليله؟ فيقول: يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي.

خوف الصحابة ـ رَضِيَ الله عَنْهُم ـ :

روي أن أبا بكر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال لطائر: ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا.

وقال أبو ذر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : وددت لو أني شجرة تعضد، وكذلك قال طلحة.

وقال عثمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ : وددت أني إذا مت لم أبعث.

وقالت عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ : وددت أني كنت نسيا منسيا.

وروي أن عمر ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيا عليه، فكان يعاد أياما وأخذ يوما تبنة من الأرض، فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا، يا ليتني كنت نسيا منسيا، يا ليتني لم تلدني أمي.

وكان في وجه عمر خطان أسودان من الدموع.

وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] صاح سلمان الفارسي، ووضع يده على رأسه، ثم خرج هاربا ثلاثة أيام.

(1) سورة الحجر، الآية: 43.

وسئل ابن عباس ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ عن الخائفين، فقال: قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر أمامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله موقفنا.

خوف التابعين فمن بعدهم من العلماء والأولياء:

كان علي بن الحسين [1] ـ رَضِيَ الله عَنْهُما ـ: إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: ألا ترون بين يدي من أريد أقوم؟

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ: إنما جعل الله ـ عز وجل ـ هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا من خشية الله عز وجل.

ودخل عليه يزيد الرقاشي فقال: عظني يا يزيد. فقال: اعلم يا أمير المؤمنين أنك لست أول خليفة تموت، فبكى ثم قال: زدني. فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت. فبكى وقال: زدني يا زيد. فقال: يا أمير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه.

وجاءته مولاة له فقصت عليه أنها رأت في المنام كأن الصراط قد مد على جهنم، وهي تغيظ على أهلها، وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار. قالت: ثم رأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك، فوقع عمر مغشيا عليه وبقي زمانا يضطرب وهي تصيح في أذنه رأيتك قد نجوت.

وقال موسى بن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ: كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن

(1) هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب، زين العابدين، أبو الحسين ولد سنة ثمان وثلاثين على التقريب، وشهد كربلاء مع أبيه الحسين وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة، كان من أهل الفضل والكرم والخير والصلاح، توفى سنة أربع وتسعين وقيل غير ذلك. ترجمته عند ابن سعد: الطبقات الكبرى 5/ 211، ابن خلكان: وفيات الأعيان 3/ 266، الذهبى: سير أعلام النبلاء 4/ 386.

النار قد أحاطت بنا. لما نرى من خوفه وجزعه.

وقرئ عند يحيى البكاء: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[1] فصاح صيحة ومكث فيها مريضا أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة.

ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في المجلس فقال له: الحسن يا فتى، هل مررت بالصراط؟ قال: لا. قال: هل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا. قال: فما هذا الضحك؟ فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكا.

وقال السري ـ رَحِمَهُ الله ـ: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهي.

وروي أن زرارة بن أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[2] خر مغشيا عليه فحمل ميتا.

وكان بعض السلف يوقد المصباح ولا يزال يبكي إلى الصباح كلما رأى النار ذكر جهنم.

وكان بعضهم يوقد النار ويقرب يده منها، فكلما أحس بالحرارة يقول: يا ويلك، لم فعلت كذا وكذا؟

وقرأ قارئ في مجلس الشبلي[3] ـ رَحِمَهُ الله ـ فقام رجل فزعق فقال له

(1) سورة الأنعام، الآية: 30.

(2) سورة المدثر، الآية: 8.

(3) هو: دلف بن جحدر الشبلي: ناسك.كان في مبدأ أمره واليا في دنباوند (من نواحي رستاق الري) وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد. اشتهر بكنيته، واختلف في=

الشبلي ـ رَحِمَهُ الله ـ : الله . فزعق ثانيا ، فقال له الشبلي : الله . فزعق ثالثة ورابعة ، ومات فجاءه والده فادعى عليه أنه قتله ، فرفع إلى دار الخليفة وأحضر بين يديه ، وسئل عن ذلك فقال : روح حنت فدنت فسمت وعلت فهاجت فدعيت فأجابت فما ذنبي أنا؟ فقال أمير المؤمنين من وراء الحجاب : لا ذنب عليه خلوا سبيله فانطلق .

وروي أن بعض الأنبياء مر بحجر صغير يخرج منه ماء كثير ، فتعجب منه فأنطقه الله تعالى ، فقال : منذ سمعت قوله تعالى : ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ (1). فأنا أبكي من خوفه ، فسأل ربه أن يجيره من النار فأجاره ، ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال : لم تبكي الآن؟ فقال : ذلك بكاء الخوف ، وهذا بكاء الشكر والسرور .

وقال حاتم الأصم : لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة ولقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة ؛ فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراء كان يحسن الاسم الأعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين ولا شخص أكبر عند الله تعالى منزلة من المصطفى ﷺ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه .

❊ ❊ ❊

=اسمه ونسبه ، فقيل (دلف بن جعفر) وقيل (جحدر بن دلف) و(دلف ابن جعترة) و(دلف بن جعونة) و(جعفر ابن يونس) . ترجمته في : طبقات الصوفية 337 ـ 348، حلية الأولياء 366/10 ـ 375، تاريخ بغداد 389/14 ـ 397، الرسالة القشيرية 25 ـ 26، وفيات الأعيان 273/2 ـ 276، ومرآة الجنان 317/2 ـ 319، والديباج المذهب 116 ـ 117، طبقات الأولياء : 204 ـ 213، النجوم الزاهرة 289/3 ـ 290، شذرات الذهب : 2/ 338.

(1) سورة البقرة ، الآية : 24.

فصل

في الخوف من سوء الخاتمة

في **الصحيحين** عن ابن مسعود ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[1].

قال ﷺ: «**إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم**»[2].

وقالت عائشة ـ رَضِيَ الله عَنْها ـ: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك**». فقلت: يا رسول الله، إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى؟ قال: «**وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين**

(1) أخرجه أحمد (1/ 382، رقم 3624)، والبخارى (3/ 1174، رقم 3036)، ومسلم (4/ 2036، رقم 2643)، وأبو داود (4/ 228، رقم 4708) والترمذى (4/ 446، رقم 2137) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (1/ 29، رقم 76)

(2) أخرجه أحمد (5/ 335، رقم 22886)، والبخارى (6/ 2436، رقم 6233)، وابن حبان (14/ 50، رقم 6175) والطبرانى (6/ 143، رقم 5784)، والدارقطنى فى الأفراد كما فى أطراف ابن طاهر (3/ 98، رقم 2147).

أصبعين من أصابع الجبار إذا أراد أن يقلب قلب عبده قلبه؟» [1].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن العبد إذا كان عند الموت قعد عند رأسه شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله فالذي عن يمينه على صفة أبيه يقول له أي بني إني كنت عليك شفيقا ولك محبا ولكن مت على دين النصارى وهو خير الأديان والذي عن شماله على صفة أمه يقول له يا بني كان بطني لك وعاء وثديي لك سقاء وفخذي لك وطاء ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان**».

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حضرت وفاة أبي ـ رَحِمَهُ الله ـ وبيدي خرقة لأشد لحييه فكان يغرق ثم يفيق ويقول بيده [2]: لا بعد لا بعد. فعل هذا مرارا، فقلت له: يا أبت، أي شيء ما يبدو منك؟ فقال: إن الشيطان قائم بحذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد فتني، وأنا أقول: لا بعد لا بعد حتى أموت [3].

وروي أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجدا للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة، فرقي يوما المنارة على عادته للأذان، وكانت تحت المنارة دار لنصراني، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار، فقالت له: ما شأنك؟ ما تريد؟ فقال: أنت أريد. قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبتِ لبي وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة. قال لها: أتزوجك. قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك. قال لها: أتنصر. قالت: إن فعلت افعل. فتنصر ليتزوجها وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، فلا هو بدينه

(1) أخرجه ابن أبي شيبة (6/ 25، رقم 29199).

(2) أي يشير بيده.

(3) حلية الأولياء 4/ 131، وصفة الصفوة 1/ 259، والتذكرة للقرطبي 38.

ولا هو بالمرأة، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة [1].

وروى النسائي عن عثمان ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث؛ إنه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جارية فقالت له: إنا ندعوك للشهادة. فانطلق مع جاريتها فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تشرب من هذا الخمر كأسا، أو تقتل هذا الغلام. قال: فاسقني كأسا من هذا الخمر فسقته كأسا، قال: زيديني. فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا يوشك أن يخرج أحدهما صاحبه [2].

ويروى أن رجلا أسيرا مسلما وكان حافظا للقرآن خص بخدمة راهبين فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته، فأسلم الراهبان وتنصر المسلم، فقيل له: ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه. قال: لا أرجع إليه أبدا فقتل [3].

وقال سفيان الثوري ـ رَحِمَهُ الله ـ: رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم سلم سلم. فقلت: يا أخي ما قصتك؟ قال: كنا أربعة إخوة مسلمين، فتوفي منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته، ولم يبق إلا أنا، فلا أدري بماذا يختم لي.

وتاب رجل نباش، فسئل عن سبب توبته قال: رأيت سبعين رجلا في قبورهم قد حولوا عن القبلة [4].

(1) الكبائر 89.

(2) الزواجر عن اقترافر الكبائر 3/ 118، والتذكرة للقرطبي 42.

(3) التذكرة للقرطبي 42.

(4) أهوال القبور لابن رجب 109.

وقال الحسن: دخل بعض الفقراء إلى بلاد الروم فرأى جارية فافتتن بها فخطبها فأبوا أن يزوجوه حتى يتنصر، فأجابهم إلى ذلك فأحضروا له القسيسين فتنصر فخرجت الجارية وبصقت في وجهه وقالت: يا ويحك تركت دين الحق لشهوة، فكيف لا أترك أنا دين الباطل لنعيم الأبد، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

وأتي بعض الصالحين بطبيب نصراني في مرضه فصاح أخرجوه عني. ثم قال: إلهي لو صببت علي كل بلاء في الدنيا لم أبال بعد ألا تعذبني بالكفر.

ويقال في قوله تعالى إخبارا عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾. أي: كنا نحن في الدنيا بين أهلنا خائفين مشفقين من سوء الخاتمة، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[1]. أي: مَنَّ علينا فتوفانا على الإيمان.

وكان علي بن أبي النجم يبكي ويقول: ومن لى أن يختم لي بلا إله إلا الله؟

وقال حامد: إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن تقول الملائكة: كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا؟

قال عبد الحق ـ رَحِمَهُ الله ـ: واعلم أن سوء الخاتمة ـ أعاذنا الله منها ـ لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سُمع بهذا ولا عُلم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد في العقد وإصرار على الكبائر، أو إقدام على العظائم، وربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلمه الشيطان على تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة ـ والعياذ بالله ثم العياذ بالله ـ أو يكون ممن كان مستقيما ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه ويأخذ في غير طريقه، فيكون

(1) سورة الطور، الآيتان: 26، 27.

ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته ؛ كإبليس اللعين الذي عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة ، وبلعام بن باعوراء الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها لخلوده إلى الأرض واتباع هواه ، وبرصيصا العابد الذي قال الله في حقه ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ [1].

وحكى ابن الجوزي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **روضة المشتاق** عن بعض السادة أنه قال : يؤتى يوم القيامة بشيخ كان مسلما ثم صار كافرا ، فيؤمر به إلى النار ، فتلقاه زوجته وولده فيقولون له : ما الذي صيرك كافرا؟ فيقول لهم : لم تزل الخطايا والزلات تحل عقد إيماني وتمحو بظلمتها نورا من لساني حتى أصمني الكفر وأعماني ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾ [2].

ويحكى أن فتى من أصحاب الفضيل بن عياض ـ رَحِمَهُ الله ـ مات فرآه الفضيل في المنام فسأله عن حاله ، فأخبره أنه مكر به ومات يهوديا ، فقيل له : ولم ذلك؟ قال : لأني كنت أظن أني أفضل أصحابك ، وكنت أتكبر عليهم ، وكانت بي علة باطنة ، فوصف لي شرب الخمر فكنت أشرب قدحا في كل سنة .

❊ ❊ ❊

(1) سورة الحشر ، الآية : 16.

(2) سورة الزخرف ، الآية : 76.

الباب الثالث

في الجمع بين الرجاء والخوف

وقد جمع الله بينهما في آيات كثيرة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1]. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ﴾ [3].

وقال الشيخ عبد العزيز ـ رَحِمَهُ الله ـ في **طهارة القلوب** معنى (ح) أقسم بحلمي ومعنى (م) أقسم بمجدي، فمن الجمال المجد والحلم، ومن الجلال العز والعلم، ثم من الجمال غافر الذنب وقابل التوب، ثم من الجلال شديد العقاب، ثم من الجمال ذي الطول، أي: الفضل رددك بين خوفه ورجائه، وأقامك بين رأفته وكبريائه.

وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [4].

وعن أبي هريرة ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في**

(1) سورة الأنعام، الآية: 165.

(2) سورة الرعد، الآية: 6.

(3) سورة غافر، الآيات: 1 ـ 3.

(4) سورة الحجر، الآيتان: 49، 50.

خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عنده من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عنده من العذاب لم يأمن من النار» [1].

وروى الترمذي عن أنس ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ أن رسول الله ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : «**كيف تجدك؟**» قال : أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ : «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف**» [2].

❊ ❊ ❊

(1) أخرجه البخارى (5/ 2374، رقم 6104) ، ومسلم (4/ 2108، رقم 2752) .

(2) أخرجه عبد بن حميد (ص 404، رقم 1370) ، والترمذى (3/ 311، رقم 983) ، قال : حسن غريب . والنسائى فى الكبرى (6/ 262، رقم 10901) ، وابن ماجه (2/ 1423، رقم 4261) ، وأبو يعلى (6/ 57، رقم 3303) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (2/ 4، رقم 1002) ، والضياء (4/ 413، رقم 1587) .

obeikandl.com

فصل

قال العلماء ـ رَحِمَهُم الله تعالى ـ : ينبغي للمريض أن يحسن الظن بربه سبحانه وتعالى ، ومعناه يظن أن الله تعالى يرحمه ، أما في حال الصحة فوجهان أظهرهما : في **شرح المهذب** أن يكون خوفه ورجاؤه سواء ، والثاني : يكون خوفه أرجح .

وقال الغزالي ـ رَحِمَهُ الله ـ في **الإحياء** الرجاء والخوف دواءان يداوى بهما القلوب ، ففضلهما بحسب الداء الموجود ، فإن غلب على القلب داء الأمن من مكر الله والاغترار به فالخوف أفضل ، وإن غلب عليه اليأس والقنوط والمعاصي فالرجاء أفضل ، ويجوز أن يقال : الخوف أفضل مطلقا لغلبة المعاصي فهو أفضل في حق الأكثرين ، وأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه فينبغي أن يعتدل خوفه ورجاؤه . قال : والأولى أن يستعمل لفظ الأصلح لا الأفضل ، فيقال : الأصلح لأكثر الخلق الخوف دون الرجاء ، وأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه فينبغي أن يعتدل خوفه ورجاؤه . قال : ومن لاحظ من صفاته تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة غلب عليه الرجاء وأثمر له المحبة وهي أعلى المقامات فيكون الرجاء أفضل بهذا الاعتبار [1].

❊ ❊ ❊

(1) إحياء علوم الدين 3/ 264.

obeikandl.com